المحاضرة السابعة: فلسفة اليومي وفعل التثاقف.

لقد تعددت الدراسات والأبحاث حول تصورات الحوار الثقافي والحضاري وكانت كلها تصبو إلى محاولة تجاوز العلاقات العميقة التي يتسم بها المجتمع المدني الدولي، وقدمت هذه الأبحاث للإنسانية أوجه متعددة للتعايش ولتجاوز كل أشكال الحرب والعنف.

فهل يمكن قبول مشروع التنوع الثقافي المزعوم التي فرضته هيمنة الثقافة الغربية على الثقافات الأخرى عن طريق السيطرة والتعصب؟

أم هناك بديل ثقافي للحوار الثقافي الغربي والدول الأخرى؟

إن الحروب العالمية قد خلفت مجازر جماعية ومعسكرات اعتقال وحشد وإبادة عرقية وعنصرية واستعمار جديد وغزو فعاشت الإنسانية بسبب كل هذه الظروف والضغوط تخلفا وتقهقرا وظهرت مصطلحات جديدة في العالم اليومي كالإرهاب ومحور الشر وغيرها.

وفي مقابل هذا بدأ يظهر مجتمع متعدد يسوده الحوار بدل الهيمنة الأحادية ونتج عن ذلك أيضا غزو وتنوع ثقافات جديدة عن طريق فعل العولمة أي عولمة الأفكار وعودة الهويات التي كانت مقصاة من الظهور بفعل العنصرية والأيديولوجية.

إن فلسفة التثاقف التي أكد عليها " فتحي التريكيّ التي تقوم على التعقل والصمود تفترض توحيد القيم كي تصبح كونية.

إن التثاقف يفترض منطقا حواريا يتعايش فيه كل أفراد المجتمعات في كل العالم مع بعضهم البعض.

إن المقاربة التثاقفية في إطار فلسفة اليومي كما يراها " التريكي " تعتم بالحقوق وتصبو لأن تكون حوارية نتعرف من خلالها على أهمية النسبية والارتباط الاجتماعي والثقافي، فتبادل الحوار مع الآخر والافرار بحقه في الحياة الكريمة.

وهو أيضا سيرورة قد تؤدي في الأخير إلى نوع من التفاهم وتجاوز الخلافات نحو كونية عملية، فالحوار وحده هو الذي يمكن هذا التمشي الفعلي والمتحرك من بلوغ الكونية.

ومن هنا وجب التخلي عن البراغماتية التي تختزل الكثرة والاختلاف في تحليل منظومة الحقوق.

ومن هنا بديهي أن توجه المقاربة التثاقفية تفكرينا نحو الكائنات الإنسانية المتجسدة والتي يجب اعتبارها كائنات ثقافية بالأساس لا بهدف تأكيد الذاتية المؤسسة للإنسان.

لكن ضمن توجه تداولي مؤسس للغيرية. ففي هذه الحالة يمكن للإعلانات الثقافية فيما يتعلق بحقوق الرجال والنساء والأطفال وحول العوائق التي تمثلها من الداخل أن تنفتح عن الكون، فإذا كانت الإنسانية لا تتقاسم قيما مشتركة فلن تكون هنالك أية مقاربة تثاقفية ممكنة ولا أية تواصلية تحدث مع الثقافات إلا من أجل اعلان الاختلاف الثقافي.

لذلك يجب أن نسعى للبحث عن كونية أكثر عدالة وأقل ارتباطا بالغرب من خلال اعتماد المنهج التثاقفي.

إن اعتماد التثاقفية هو تكريس للغيرية واحترام الأخر وبناء قيم تواصلية بين جميع الثقافات من خلال التنوع الثقافي والتخلص من الهيمنة الغربية في كل الميادين.

فالمسلك الغربي الخاص بالكون لا يمكن أن يكون هو الوحيد الذي يوصلنا إلى العقل النهائي الكامل، فالحضارات الأخرى تزخر هي أيضا بمعطيات كونية واضحة كمسار العقل مثلا في الثقافة العربية والإسلامية.

لذى يرى " فتحي التريكي" أن ما يوصلنا إلى تضافر الثقافات هو فعل التضايف والأنس والمحبة.

هذه الأخيرة تعود جذورها إلى الفارابي والتي تعبر عن عيش مشترك ضمن الانسجام المتفق عليه والذي يترجم ليس فقط عدالة مصاحبة بعقل وبحب ولكن أيضا تفاهما بين البشر لتكوين إنسانية التقاسم التي تجسده الفلسفة اليومية من خلال احترام الآخر دون أن يكون هناك خضوع والذي يقوم على مبدأ السلام لا الاستسلام.

فالتعقلية والتآزر والتثاقف كلها نظريات تآنسية تفرض احترام الكرامة الإنسانية، ولا تقصي أبدا إمكانية الصمود والمقاومة.

فالتعقل ليس استكانة ولا هو قبول الأمر المقضي . إنه استعمال العقل في كل مجالات الحياة وتوظيفه من أجل ربط علاقتنا مع الغير على قاعدة الكرامة وهو أساس علاقات التآنس، وأساس كل إنسانية حقيقية بعيدة عن التمييز والعنصرية والتعدي على حقوق الآخرين، فوجود الآخر وقبوله هو شعور بالعيش المشترك وبجماليته.

فتحي التريكي: فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر،تونس، 2009.